بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين... وبعد.

لقد تملكتني منذ زمن رغبة قوية ذات بعد عاطفي ديني في دراسة الاستشراق وقضاياه منذ أن كنت طالباً في مراحل الدراسة الأولى وذلك بسبب ما اطلعت عليه من آراء متطرفة في كثير من القضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين التي حاول المستشرقون دراستها، ولم أكن أدرك في ذلك الوقت سعة الميدان الذي رغبت في الاطلاع عليه وعمقه وتعقيده وتشعب قضاياه وصعوبة معالجة نتائجه بمجهود فردي، ولكن مع تقدم الوقت وازدياد اهتمامي بهذا الجانب من البحث مع تقدم الوقت وازدياد اهتمامي بهذا الجانب من البحث ازدادت رغبتي في التعلق بكل ما استجد في هذا الميدان وكان ذلك دافعاً لي لاختيار عناوين أبحاثي في مرحلة الدراسة العليا في هذا الجانب أملاً في التمكن من فهم هذا الكم المعقد الذي سمى «الاستشراق».

لقد حاولت في دراسات سابقة أن أركز على بعض القضايا التي تدخل في دائرة الدفاع المحدود الذي حركته العواطف أحياناً أو الواجب

الديني أحياناً أخرى، غير أني أدركت أنه لا بد من الالتفات نحو دراسة المنهج الذي يعالج به الاستشراق قضايا الإسلام والمسلمين ذلك أن العقدة تكمن في هذا الجانب، فالمستشرقون إذا درسوا قضية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين نجدهم ذوي منهج علمي وذوي التزام بالموضوعية والحيدة في الإطار الذي تسمح به القدرة البشرية، أما حين الاقتراب من الدائرة الإسلامية عقيدة أو تطبيقاً فإن مؤثرات مختلفة تتدافع لتنحرف بالمنهج الاستشراقي وتدفع به إلى دوائر اللامنهجية واللاموضوعية، والأمر يشتد إذا تلامست خطوط البحث ودوائره مع التراث العربي والإسلامي، ومن هنا كان هذا العمل الذي أقدمه اليوم سيراً في هذا الاتجاه الذي اقتنعت به.

لقد فكرت كثيراً في اختيار علم من أعلام الفكر الإسلامي الذي اهتم به المستشرقون كثيراً ليكون النموذج التطبيقي لهذه الدراسة فتمثل أمامي ثلاثة أعلام اشتركوا في أكثر من صفة وهم ابن رشد وابن حزم وابن خلدون، فهم تعاقبوا زمنياً، وضمتهم البيئة الأندلسية بكل آفاقها العلمية الرحبة على الرغم من اختلاف طول عيشهم في هذه البيئة أو قصره، ثم - وهو المهم - هم من المجددين علمياً ومن الذين حاولوا تقديم الجديد والمفيد والمقنع الذي وجد فيه الغربيون الكثير الذي انكبوا على دراسته وتحليله برؤى وأيديولوجيات مختلفة ولأغراض ومستهدفات متعددة.

ولست بمفضل أحدهم على الآخر في الدراسة والاهتمام فكلهم أعلام مشاهير لا زال فكرهم ينتظر الكثير للكشف عن كنوزه، ولم يزد البحث الغزير الذي لقيه هؤلاء ومن قبل الغربيين إلا رغبة في مواصلة البحث والكشف عن المزيد من العطاء الذي قدمه هؤلاء، وقد دفعني إلى اختيار ابن خلدون عامل اللغة التي كتب بها عنه واتجاه الكتابة عنه إلى مستهدفات هي أقرب إلى تمثل المنهج الاستشراقي مما كتب عن العالمين الآخرين.

ومن أجل ذلك كله، وبهمة إسلامية تدفعها خدمة التراث الإسلامي وتنقيته مما حاول الغربيون إلصاقه به، اتجهت إلى دراسة هذا الموضوع واخترت له منهجاً وصفياً تحليلياً يصف ما عليه هذه الظاهرة الاستشراقية من منظور حاولت جاهداً أن يكون موضوعياً ومحايداً بالرغم من استحالة ذلك أحياناً، ثم وصف ما عند الرجل فكراً وتراثاً ضابطاً ـ قدر الإمكان ـ نفسي عن أن يدفعها الإعجاب بهذه الشخصية والتحمس لها إلى الخروج عن الموضوعية والحيدة العلمية فتثبت أمراً ليس له أو تنفي صفة ثابتة له، ثم وصف ما عند الغربيين من أغراض وخبايا في تناولهم لتراث هذه الشخصية دون أن أترك مجالاً لسيطرة العاطفة الدينية في الحكم على عمل المستشرقين وآرائهم، ومن خلال ذلك الوصف كله حاولت أن أستخدم جهدي في تحليل مجمل هذه القضايا تحليلاً علمياً يستند على المنطق الذي يحكمه منهج علمي دون تشنج أو انفعالات، مستخدماً في الوصول إلى ذلك كل ما وقع تحت يدي من مصادر باللغتين العربية والإنجليزية والتي أعتقد أنها من الكثرة بحيث تعد مشكلة الدراسة وليست أداتها، ذلك أن الباحث في موضوع يتعلق بابن خلدون سوف يجد أمامه كمّا لا مثيل له من المصادر والمراجع التي سوف اطلع القارىء على نموذج منها من خلال الفهارس التي سأضمها لهذا العمل كملحق يستهدف إطلاع القارىء بسعة البحث حول هذه الشخصية وإفادة من يريد أن يتصدى لأي دراسة تتعلق بهذا الفكر بكثرة ما قيل حوله وبمختلف اللغات.

حاولت دراسة ذلك بجهد ومنهج أعتقد أنه اقترب من المنهج العلمي السليم إن لم يكن واقعاً فهو وكل ذلك كان بهدف أن أصل إلى الحقيقة العلمية المجردة التي ترد الأمور إلى نصابها في إظهار حقيقة الفكر الإسلامي وحقيقة مرتكزاته، وعظمة تراثنا الإسلامي، وكيف حاول الغربيون تشويهه وتزييفه في ضوء تخلفنا عن الاهتمام به والالتفات إلى

اقتنائه ودراسته، ولئن ارتكزت دراستي هذه على تطبيقات حول شخصية واحدة هي شخصية ابن خلدون فإن هدفي كان إثارة انتباه الباحثين والقراء إلى أن يحذوا حذو هذا العمل لدراسة أعلام آخرين اهتم الغربيون بدراسة تراثهم، في محاولة لإظهار حقيقة أن التراث الإسلامي ملك لنا نحن المسلمين لا يجوز وفق جميع القوانين والأعراف الدولية المساس به أو تشويهه أو سرقته لأنه في النهاية ملك للتراث الإنساني عامة.

ومع كل ما ذكرت سابقاً فإني أعود لأ أكد أن ملاحقة العمل الاستشراقي في التعامل مع تراثنا هو أكبر من أن تدركه دراسة أو مجموعة دراسات بل هو أمر يتطلب جهوداً أكبر إن لم تكن جهود دول فيجب أن تكون جهود فرق بحثية في كل مجال من مجالات الدراسات الاستشراقية، وتبقى دراسات الأفراد الجزئية وسيلة تنبيه إلى خطورة الحقل وأهمية دراسته خاصة في أيامنا هذه التي تشتد فيها وطأة الإعلام الغربي في محاربة الإسلام والمسلمين بكل الوسائل. ونحن حين ننبه إلى ذلك كله نتخلص من مسؤوليتنا الشخصية أمام الله سبحانه وتعالى، ونبقى في انتظار شرف المشاركة في العمل الجماعي الذي ينصف الإسلام والمسلمين والله من وراء القصد.

د. محمد فتح الله الزيادي

طرابلس 1997م